



لا حمل السلاح في عدن

لا للمخدرات

معا لتطهير الجنوب وعدن من آفة المخدرات

المقال الاخير

(عدن) .. ومسؤوليتها في معادلة الحياة

د. ياسين سعيد نعمان



اليمن كله موجود في عدن.. حقيقة لا أحد يستطيع أن ينازع فيها، وعندما نقول اليمن كله فإننا نعني بذلك كل ما تحمله الكلمة من موروث وميراث وإرث وتراث وثقافة ومزاج وسلوك. في هذه المدينة الساحلية الساحرة تجمع اليمن من كل حذب وصوب منذ قرون طويلة. لم تتجسد اليمن بأكملها في مدينة مثلما تجسدت ذات يوم في عدن.

في عدن تخاطب اليمنيين، تتأقفاوا، تصاهروا، اكتسبوا مدنيتهم باحترام مدنيتهم، تعلموا بالسياسة، وتعلموا كيف ينظمون أنفسهم في تجمعات مدنية، وتعلموا احترام العمل، وتعلموا التعايش وكيفية احترام حقوق الآخر، وأهم من هذا كله تعلموا كيف يشيرون الدولة ويحترمون القانون.

كان البحر يخدم حرارة وطيش السهل والجبل لدى أولئك القادمين إليها، ويعيد تشكيلهم بإيقاعات الموج المتكسر على شطآنه وسواحله.

نقلوا إليها الصالح والطالح من مناطق وفادتهم. أما الصالح لقد شكل رافداً للتطور المدني، وأما الطالح فقد أخذ يتكاثر مع كل نكوص كان يعترى مسار هذا التطور ويجمع كبؤر أخذت تتشكل وتشكل عوائق أمام الانتقال نحو العصر.

جميعهم اختلطوا مع من جاء إليها من أقوام من خارج اليمن خلال عقود طويلة تأهلت فيها لتؤسس نموذج المدينة والمدنية التي يحلم بها كل عاقل ورشيد.

أقول وأكرر: لن يصلح حال اليمن إلا إذا صلحت عدن. اليوم الذي أهملوا فيه عدن وعملوا على تحويلها إلى مجرد مدينة بلا مستقبل خربوا مستقبل اليمن بأكمله، والتخريب الذي يجري في عدن يمارسه فيه الأساس أولئك الذين أوكلت إليهم مهمة تخريب اليمن بأكمله؛ لهذا تكاثرت بؤر وجيوب التخريب، بأشكاله المتعددة، واشتد عودها وتحولت عدن إلى مكان لتصفية حسابات مع كل محاولة لاستعادة الدور المحوري لهذه المدينة في التعايش والنهوض الوطني.

وظفت الوحدة التي تبلورت ونمت وترعرع عودها وتحققت في هذه المدينة، لتغيب دور عدن كمركز لنهضة اليمن، وأدى تغيب دورها المحوري في قيادة هذا النهوض وتحويلها إلى ملحق لمركزية غارقة في مجاهيل التاريخ، إلى إهدار الفرص لإخراج اليمن من مأزق التخلف إلى فضاءات العصر. وعندما غرر بالوحدة السلمية انتكست معها عدن كنتيجة طبيعية لهذه العلاقة التكاملية.

تجرعت عدن أكثر من غيرها مرارة هزيمة الوحدة بالحرب، أفرغتها الهزيمة من كل العناصر الديناميكية التي ظلت تشكل روافد المشروع الوطني، وهو الوضع الذي تكسرت معه أضلع هذا المشروع العظيم بأدوات مجتزأة من تاريخ عجائبي تشكل بالفارغة والغنيمة.

رسمت الهزيمة خطاً فاصلاً بين مشروعين: الوطني والتفكيكي، وكان أن حولت عدن إلى غنيمة حرب بكل ما تحمله الكلمة من رذالة وانكسار للحلم. من هذه النقطة بدأ التوهان يتمدد بحرارة وصخب الصوت "الوحدوي" العالي المفرغ من نبالة الوحدة.

انعكس هذا التصرف، المفعم بفجيعة الرعونة التي ولدها انتصار بليد، على اليمن بأكمله. وحتى بعض المدن التي صيرت وعاء يستقبل كل خيرات اليمن، بقرار تسلطي مركزي، لم يسمح لها أن تكون مدناً لكل اليمنيين، حاولت لكنها قمعت بجزروت السننرات المنهوبة، صارت مدناً للأثرياء الذين بنوا ثروتهم بالسلطة والنفوذ والفساد وإدارة الاغتيالات.

فشلت هذه المدن في أن تكون "عدن" قبل أن يغمرها طوفان التمرد على أصلاتها كرد فعل لما أصابها من غبن وإهمال.

في ظروف الانهيارات القيمة تتشكل ثقافات شعبية تؤسس لمزيد من الانهيارات على غير ما تقدمه للناس من آمال وأحلام، استطاعت هذه الثقافات أن تنتم من المشروع الوطني وتتغذى من إخفاقاته، وكانت عدن الساحة التي تجمعت فيها روافد هذه الثقافات بعد نكسة الوحدة، وهدفت إلى تدمير جسورها مع تاريخها لتبدو مع سبق الإصرار وكأنها مدينة بلا هوية وبلا تاريخ.

عدن هي ضحية كل هذا الهوس الذي عجن اليمن بالغلبة والفساد احتكاراً للسلطة والثروة، ومن داخل ذات البؤر التي صادرت مستقبل اليمن توالدت محافل الفيد، وإن بزوامل مختلفة الكلمات ولكنها بنفس المضمون.

تمردت عدن على نظام صالح الذي قمع حلمها وحوله إلى وسيلة لتوسيع نفوذه وسلطته بالحرب والإفساد والإلحاق، انتفضت في وجهه.. عمل نظامه على تشويه تلك الانتفاضة بزرع ثقافة الكراهية والانعرالية بواسطة أبقائه التي انغرست بشعارات شعبية استهدفت دمع المواجهة الشعبية مع نظامه بأقبح صفات الكراهية والانعرالية.

لكن عدن تفوقت على كل تلك المحاولات الرديئة ووضعت خياراتها بعناية، ولكي يتم الانتقام منها توجهت إليها جحافل الانقلابيين الحوثيين والفيد قبل غيرها من المدن الأخرى لتدميرها على نحو لا يمكن أن تستوعبه أي ذاكرة تاريخية إلا بأنه انتقام من المشروع المدني المقاوم للعصبيّة المتخلفة وعصابتها المتنفة.

ما تعيشه عدن اليوم هو نتيجة ذلك التدمير الذي ألحقته الحرب بعدن، والتخريب الذي طال في المقام الأول أصالة هذه المدينة بنجيم روافد الصراع من كل فجح إلى داخلها، والعمل على وضعها خارج تاريخها، وخارج مدنيّتها، وخارج تسامحها، وخارج بحرّها، وخارج نشأتها، وفي تضاد مع كل عوامل النهوض التي شكّلت ذات يوم عنواناً لمستقبل تطلعنا إليه وعلّمنا به.

مهماً بدأ أن عدن قد أثقلت بأرزاء اليمن من أقصاه إلى أقصاه، إلا أنه ومن داخل هذه المدينة، وبصوتها فقط، ستتقرر خيارات المستقبل، فعدن لا تستطيع أن تغادر مسؤوليتها، ولا يمكن أن تخرج خارج تاريخها.

ستفرض خيارات المستقبل مهما تكالب عليها الرصاص وغطاها البارود وقمعتها كاتمات الصوت وحرارة الصيف والحسابات الغلط التي تتجاهل قيمة هذه المدينة في معادلة الحياة.

عدن بوابة الحل لمشاكل اليمن رغمًا عن كل المحاولات التي تعمل على ربطها بمعادلة الموت والإلحاق.



عدنان الأعجم

صوراً لجثث قتلى قضاوا في الوزارات التي تم اقتحامها، وزعمت وسائل الإعلام تلك في القنوات الفضائية بأنها جثث لحوثيين، ولكن الجميع تجاهل تلك الادعاءات على الرغم من عرض قناة اليمن إثباتات هوية لعدد من القتلى.

وعندما تبين أن عفاش لا يفكر جدياً بتسليم السلطة كان حادث تفجير جامع الرئاسة الخيار الأخير أمام معارضي نظام صالح.

الخلاصة أن الأمريكان لم يكن موقفهم من الربيع العربي نابع من الخوف على الديمقراطية وحقوق الإنسان فهذا أمر لا تعيره أمريكا أدنى اهتمام بقدر ما كان الدافع الأمريكي (المصلحة) فقط.

وبعد تلاشي الربيع العربي قبلت أمريكا بتسليم السلطة إلى التيار الديني المتمثل بالإصلاح من أجل القضاء على القاعدة، وبعد شعور الأمريكان بالخذلان وبأن الاعتماد على الإصلاح في الأمر كان كهكذا كان عبارة عن مقلب يفوق كل مقالب عفاش عادوا إلى الخطة (ب) مع الشهيد عبدربه الإسرائيلي وما تلاه تلك المعسكرات اللواء الذي يقوده البريطانيون بالاستعانة بالشريك الآخر في ثورة التغيير المتمثل بالحوثيين، وبضوء أخضر تسلمت صعدة مقاليد الحكم في صنعاء.

ومنذ العام 2011 إلى العام 2014 ظلت أمريكا والغرب يتعاملون مع التيارات الدينية من إصلاحيين وحوثة وبقا لمصالحهم، بعيداً عن مصالح اليمنيين ولم يسهموا في حل أي قضية إلى أن أوصلوا البلد إلى هذه الحرب المدمرة.

وأعتقد أن كل الدول بما فيها أمريكا ستدفع ثمن المجازفة، فما كان يخشاه الغرب من اليمن قد وصل بالفعل إلى عقر دارهم. وبالله الحول والقول.

العسكري وتم إقناع الأمريكان والبريطانيين بأن عفاش ربما يقوم بإفراغ المعسكرات للقاعدة، وبالفعل تم إعطاء الضوء الأخضر بقيام العناصر المسلحة من الإصلاح والحوثيين معا باقتحام المعسكرات الرابضة في الجوف وكان أحد تلك المعسكرات اللواء الذي يقوده الشهيد عبدربه الإسرائيلي وما تلاه من عمليات الاستيلاء على بقية المعسكرات في مأرب وصولاً إلى المعسكر الذي كان يقوده العميد جواس في عبس؛ ومن ثم اقتحام معسكرات الحرس الجمهوري في الصنعاء المحصنة ومقتل قائد اللواء الكلبيني، وكان انضمام علي محسن دافعا قويا لحدوث كل تلك الأعمال.

وبينما كان عفاش يطالب بإدانة اقتحام المعسكرات فقد جاءت ردة الفعل الأمريكية مغايرة تماماً وتطورت بعد ذلك إلى حثه على تسليم السلطة.

وتزامن اقتحام الوزارات في الحصبة عرض الإعلام التابع لعفاش الحول والقول.

مرت ثمان سنوات على ثورة التغيير ولانزلت هناك من الخفايا الكثير والتي لم تتكشف بعد على الرغم من سقوط الدولة وما حل من دمار منذ الأربعة الأعوام نتيجة للحرب التي تم إشعالها من قبل ثوار التغيير- الحوثيون والإصلاحيون - بيد أن الأمريكان عندما وافقوا على منح الضوء الأخضر للربيع العربي بضم اليمن إلى القائمة كانوا يدركون حجم المخاطر المترتبة في المجازفة والإقدام على هكذا خطوة غير محسوبة النتائج في بلد كاليمن، ولكن كانت الرغبة الأمريكية تتمحور في القضاء على صالح، كونه نكث بالعهود والاتفاقيات التي أبرمها مع الأمريكان بخصوص محاربة القاعدة وتنصه عن هذا الدور، الأمر الآخر التخلص من القاعدة، وفي هذا الجانب قدم الإصلاح نفسه للأمريكان على أنه القادر على إنهاء دور القاعدة في اليمن، وكانت قطر الضامن على تعهد الإصلاح والذي تعهد أيضاً بتحجيم دور السلفيين، وعلى هذا الأساس انطلق الربيع العربي في العاصمة اليمنية صنعاء. ولكن الأمريكان ومعهم البريطانيون لم يضعوا ببصهم كاملة في سلة الإصلاح وعمدوا إلى تعبيد وفتح الطريق للحوثيين إلى صنعاء ومن ثم إحقاقهم كمكون ثوري جديد يضاف إلى ساحة التغيير جنباً إلى جنب مع الإصلاح ولكن على استحياء.

وكانت الاستخبارات القطرية تلعب دور الموجه والمشرف المباشر على ثورة التغيير من قلب العاصمة صنعاء.

وخلال الزخم الإعلامي الضخم الذي رافق الثورة جاء دور الحسم

صورة وتحليق

سقطت الورقة الدينية وانقسم الشمال وانتصر الجنوب وما باقي إلا معان كل واحد يشل حقه وكفى الله المؤمنين شر القتال.

